اللغة العامية والحروف اللاتينية

للأستاذ السهمي

ذكرنا حديث الاستاذ البارع (الجاحظ) فى الرسالة (٧٢٦) ص (٦٢٦) عن قصة هذه العامية ذات العمى والبكم والصمم بمقال فائق للعلامة اللغوى الكبير الشيخ ابراهيم اليازجى ترجمته أو عنوانه (اللغة العامية واللغة الفصحى) كتبه سنة (١٩٠٢) مظهراً فيه نيات أبناء (جُنْبُلْ) الخبيثات المخيفات ومذكراً ومنذراً. وقد رأيت أن أروى فى (رسالة العربية) الهادية الكريمة جملا من ذلك المقال المحقق المحكم وهو أكثر من ثلاثين صفحة. وليعلم من يتجاهل أو يجهل أن الذى نزّل وحفظ قرآنه، حافظ أبد الأبيد لسانه.

قال الشيخ ابراهيم اليازجى:

« نشر بعضهم من سنوات رسائل متتابعة يدعو فيها علماء العربية وكتابها إلى استبدال اللغة العاميـة من اللغة الفصحى واعتمادها فى الكتب والجرائد وغيرها ورسم لها حروفاً جديدة تكتب بها هى الحروف اللاتينية ... وقد انتهى إلينا بعض ما نشره من تلك الرسائل وفيه أمثلة من حكايات وغيرها باللغة العامية المصرية كتبها بالحروف المذكورة فكانت نوعاً من الكرشونى. (١)

وإذا قرئت جاء لفظها أشبه بلفظ رجل افرنجى يتعلم العربية ولا سيما فى أمر الحركات التى عبر عنها بأحرف المد فإذا نطق بها العربى توهم سامعه أنه يقلد كلام أحد الإفرنج المقيمين فى هذه الديار. وأغرب من ذلك أنه زعم أن تعلم هذه الحروف أسهل تناولا على الأمى من أبناء مصر وأنها أفضل ذريعة لتعميم القراءة فى القطر ... »

« ... على أن الأمر طوى من ذلك الحين ولم يصادف من أحد اهتماماً إلى أن ظهر فى هذه الأيام كتاب ألفه المستر (ولمور) أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية على الطريقة المذكورة جمع فيه ما تسنى له من قواعد اللغة العامية المصرية على وجه يقرب من الأجنبى تناولها والتكلم بها ...

« ... ولكن المؤلف وبعض اخوانه ممن علقوا التعاليق وممن قرظوه فى جرائدهم لم يقفوا عنـد هذا الغرض من صميم المؤلف ولكنهم ذهبوا إلى ما وراء ذلك من وجوب نسخ اللغة الفصحى فى البلاد واحلال اللغة العامية مكانها مع كتابتها بالحرف اللاتينى على مثل ما ذهب إليه صاحب الرسائل المقدم ذكرها. »

« ... ويؤخذ من كلام المؤلف وبعض الجرائد الإنكليزية فى القطر الإيماء إلى لزوم ادخال هذه الطريقة فى المدارس أى مدارس الحكومة مع جعل التعليم اجبارياً بحيث أنه لا يمضى زمن قصير حتى يعم استعمالها فى البلاد وتكون الضربة القاضية على اللغة الفصحى وأسفارها ... (١)

« ... ولكن ذلك (الفرق بين العامية والفصحى) وهم دسه على أولئك القوم الجهل بلغة البلاد؛ لأنهم لو كانوا يعرفون العربيـة كما يعرفها أهلها لعلموا أن معظم الفرق بين اللغتين مقصور فى الغالب على اهمال علامات الإعراب من اللسان العامى بحيث أصبح مسموع اللفظين متبايناً على الجملة. الا أن هذا إنما تتنكر به اللغة فى سماع الأجنبى لا فى سماع أهلها ... ومن أعظم الشواهد على ذلك أن فى العامة من يقرأون ويسمعون الجرائد وكتب الروايات والأقاصيص الحديثة والقديمة من مثل سيرة بنى هلال وعنترة وألف ليلة وليلة وغيرها ويفهمونها ويروونها مع أن جميعها مكتوبة باللغة الفصيحة ... »

قلت: يدل كلام الشيخ ابراهيم على أن العامة فى مصر كانوا يفهمون اللغة الفصيحة سنة (١٩٠٢) فهل تقهقروا، هل تأخروا هذا التأخر الفظيع فى الفهم والرواية سنة (١٩٤٧) — بعد هذا الدهر الطويل وبعد هاتين الحربين المدهشتين، وبعد أن تبدلت الأرض غير الأرض والسماوات — حتى تقول رجال الاذاعة فى العامة والساكين مقولتهم التى أشار إليها الأستاذ الالمعى (العباس) فى الرسالة ٧٢٧ ونقدها نقداً حسناً ومصيباً.

أيتها الحكومة المصرية، حرى حرى فى داريك: دار الاذاعة ودار التمثيل وغيرهما من الدور اللغة العامية؛ إنك إلا تفعلى تخرجى ... (٢)

« ... وأما مسئلة الكتابة وعدم وجود صور لأصوات الحركات فى رسم الهجاء العربى فما لا يبالى به بالقياس إلى الأمة نفسها إن كان النظر إليها مجرداً ... إن للحركات عندنا مقادير لا تتعداها فإذا رسمت بالحروف كما هو الشأن فى اللغات الأوربية

(١) هو العربى المكتوب بالحرف السريانى (الضياء)

(١) قلت: لقد تفاحشت نيتهم المستفظعة. غمر البحر جزيرتهم! !

(٢) (إنك إلا تفعلى تخرجى) شطر بيت للعرجى (تخرجين) تأثمين

جاء لفظ الكلمات منكراً ، وربما التبس بعضها ببعض فلم يبق فرق بين سلم مثلا وسالم وسليم إذ يكون بعد السين ألف وبعد اللام ياء فى الكل ، وقد يجىء ما هو أنكر من ذلك كما فى مثل قتل وقاتل لما هناك من الاختلاف الفاحش فى المعنى ، وحينئذ لا يبقى غنى عن وضع علامات تميز الحركة من الحرف فعاد الأمر إلى الشكل وهو يغنى وحده بدون الحروف . وذلك فضلا عما فى التزام التحريك فى الرسم سواء كان بالحرف العربى أم اللاتينى من إطالة هجاء الكلمات واقتضاء الكتابة زمناً أطول إلى ضعف آخر فى الأقل . فجملة ما يقال إن الحركات فى العربية لا تكتب إلا بصورة حركات لأن لفظها ليس لفظ الحروف الكاملة ولا هى داخلة فى بنية الكلمات وإنما الغرض الأصلى منها الانتقال من مقطع إلى مقطع ، لكن غاية ما هناك أنه يمكن استنباط طريقة تمكن الطالع من وضع الحركات على وجه أسهل ؛ وحينئذ لا يشكل إلا الحرف الذى يمكن التباسه ولو على الأجنبى » .

« بقى أنه على تقدير خروج هذا الرأى إلى الفعل فان ما يتخلص منه الأجنبى يقع فيه الوطنى بل يقع فى أشد مضضاً منه على ما سنذكره . ونعنى بالوطنى هنا المسلم الذى هو العنصر الغالب فى البلاد ، فانه مع تعليمه قواعد اللغة العامية لا يستغنى عن تعلم اللغة الفصحى لإحكام قراءة القرآن وتلقى الحديث وفهم نصوص الشرع المبنية عليهما . ولابد لبلوغ هذه المنزلة من قراءة كتب النحو والبيان واللغة وسائر علوم الأدب . وهذه كلها إن لم يتعلمها فى مدارس البلاد لزمه أن يتعلمها فى مدارس أخرى خاصة أو يدرسها فى منزله وكلاهما لا يستطيعه إلا الأغنياء فضلا عما فيه من المشقة وإضاعة الزمن . وكذلك يلزمه أن يتعلم قراءتين احداهما بالحرف العربى لتلاوة القرآن لأنه لا يجوز له أن يكتبه بحرف أجنبى ... والأخرى بالحرف اللاتينى المصطلح عليه فى البلاد لمطالعة ما ينشر فيها من الكتب والجرائد ولدراسة العلوم العصرية التى يرام كتابتها باللغة والحرف المذكورين [1] على ما أشير إليه فى التأليف [2] ولا نخال التسليم بذلك كله من الأمور المستسهلة . ومن هنا يعلم المؤلف وغيره أن العربية لا تقاس فى ذلك بالطليانية واليونانية إذ ليس فى هاتين اللغتين شىء من الأمر الدينى الذى أشرنا إليه ، بل فيها حدث أخيراً فى أمر ترجمة الأنجيل إلى اليونانية الحديثة عبرة كافية مع انتفاء المحذور الذى ذكرناه. وبقى وراء ذلك كله ما يترتب على هذا الانقلاب من الخسران الجسيم بضياع ما لا يحصى من كتب العلم والتاريخ وغيرها بحيث يتعذر نقل الكتب بأسرها إلى الحرف الجديد ولا يبقى سبيل للأعقاب إلى تناول ما فيها إذا تغير الحرف الذى يقرأون به » .

« ولذلك فالذى نراه لواضعى هذه الطريقة أن يقتصروا فيها على تعليم الأجنبى لغة البلاد ولا يتجاوزوا إلى ما وراء ذلك من شؤون الأمة فان محاولة هذا الاحداث فيها ليس فى شىء من الحكمة ولا هو من الأمور التى يساعدها الامكان »

قلت : قد كان لقوم دنلوب فى أيام الشيخ سلطان فعبر فى الجمل الأخيرة عن مراده بهذا التعبير ، والمقصود متضح ، ومغزاه أن الإقدام على هذا الاجرام سيدفع الأمة إلى الثورة . وإنا لنعلن أن من يثورون على أجنبيين أو أجنبيين وكافرين يريدون سوءاً بلغتهم ، ولغة بلادهم ، ولغة آبائهم وأجدادهم ، ولغة آدابهم ، ولغة علومهم ، ولغة دينهم ، ولغة قرآنهم ، ولغة نبيهم — إن من يثورون على ذلك العدو اللعين سيثورون على عربيين مصريين ، وعلى مسلمين مؤمنين ، وعلى أولياء وقديسين ، وعلى من هم فوق الأولياء والقديسين إن أرادوا أن يكيدوا لهذا اللسان المبين كيد الدنلوبيين .

[يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون]

صدق (الكتاب) ومنزله

روى كلام البارجى عن (ضياء) : السيد

(١) أى اللغة العامية والحرف اللاتينى.

(٢) يعنى الشيخ كتاب المتر (ولمور) وهو المقصود بقوله (ومن هنا يعلم المؤلف)

جامعـــة فاروق الأول

صحة اسم الوظيفة السابق الاعلان عنها لكلية الهندسة « أستاذ الإنشاءات الدنية والأساسات » لا المعدنية .

٧٤٥٠